077 كتاب المجموع شرح المهذب للإمام النووي؛ دراسة وصفية.

محمد نور بن حسين، حنفي دولة
الكلية الجامعية الإسلامية العالمية بسلانجور، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

الملخص

كتاب المجموع شرح المهذب من أهم مؤلفات الإمام النووي في الفقه. وقد بذل الإمام جهدا كبيرا في هذه التأليف، حتى انتقل إلى جوار ربه قبل أن يتم التأليف. وقد أصبح الكتاب مرجعا مهما في الأحكام الشرعية. ولذلك، تهدف المقالة إلى دراسة هذا الكتاب دراسة وصفية تتناول منهج الإمام في الكتاب، ومحتوياته، كما تركز المقالة على مصادره النحوية. وتدل المقالة على المكانة الراقية لهذا الكتاب كما تشير أيضا إلى كثرة ورود المصادر اللغوية فيه أضافة على المصادر الأخرى.

المقدمة:

المجموع شرح المهذب من مؤلفات الإمام النووي المهمة في الفقه. وللأسف، لَم يتم تأليفها إذ انتقل إلى ربه، حيث وصل تأليفه إلى باب المصراة في رأي ابن العطار، أو إلى باب الرباء حسب رأي الأسنوي.[1] قال ابن العطار: "كتب لي ورقة فيها أسماء الكتب التي كان يجمعه منها، وقال: إذا انتقلت إلى الله فأتمه من هذه الكتب".[2] وقال الأسنوي: "وهذا الشرح من أجل كتبه وأنفسها، وكلامه فيه يدل على أنه اطلع على أنه يموت قبل إتمامه".[3]

[1] يُنظر: السيوطي، **المنهاج السوي**، ص66؛ ويُنظر: ابن العطار، **تحفة الطالبين**، ص46.

[2] ابن العطار، **تحفة الطالبين**، ص46.

[3] يُنظر: السيوطي، **المنهاج السوي**، ص66.

وحاول جماعة تكميلَه؛ ولكنّهم لَم ينهوه، فكتب الشيخ تقي الدين السبكي من الموضع الذي انتهى إليه أثناء التفليس.[4] يقول في خطبة تكملته واصفاً هذا الشرح: "فقد رغب إليّ بعض الأصحاب في أن أكمل شرح المهذّب للشيخ الإمام العلامة علم الزهاد، وقدوة العباد، واحد عصره، وفريد دهره، محيي علوم الأولين، ومهذب سنن الصالحين، أبي زكريا النووي، وطالت رغبته إليّ، وكثر إلحاحه عليّ، وأنا في ذلك أقدّم رجلاً وأؤخّر أخرى، واستهون الخطب فرآه شيئاً أمرًا، وهو في ذلك لا يقبل عذرًا".[5] وأضاف السبكي أنّه قد يكون في تعرّضه لذلك مع قصوره عن مقام هذا الشارح إساءة إليه، وجناية منه عليه، فأنّى له أن ينهض بما نهض به وقد يسعف بالتأييد، وساعده المقادير فقرب منه كل بعيد.[6]

يرى الإمام السيوطي أنّ تكملة المجموع تحتاج بعد الأهلية إلى ثلاثة أشياء؛ **أولاً**: الفراغ واتساع الزمان، وقد كان الإمام قد أوتي من ذلك الحظ الأوفر. **وثانياً**: جمع الكتب التي استعان بها على النظر والاطلاع على كلام العلماء، فقد حصل للإمام من ذلك حظ وافر، لسهولة ذلك في بلده ذلك الوقت. **وثالثاً**: حسن النية، وكثرة الورع والزهد، والأعمال الصالحة.[7] وقد عبّر عن نفسه نحو إتمام المجموع، فقال: "قلت في نفسي: لعل ببركة صاحبه ونيته يعينني الله، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فإن من الله تعالى بإكماله، فلا شك من فضل الله ببركة صاحبه ونيته، إذ كان مقصوده النفع للناس ممن كان".[8]

وأبدَى الإمام السخاوي اهتمامَه بإتمام المجموع كما في قوله: "الموجود منه إلى أثناء باب الربا، بل وقع النقل عن مسودة له على المهذب في مسألة نظر العبد لسيده، وكذا في خطبة القطعة الموجودة أنه كان في شرع عليه مبسوط جدا، بحيث بلغ إلى آخر الحيض، في ثلاث مجلدات ضخمات، ثم

---

[4] المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[5] المرجع السابق، ص67.
[6] المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[7] المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[8] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

استطوله، وخشي من عدم تحصيله والسآمة من مطالعته، فأعرض عنه وعدل إلى الموجودة، وإنها طريقة وسطى".[9] وأضاف أنه دُفِعت له ورقةٌ بتعيين مواده في تصنيفه، وقيل له بإتمامه من وفاة الإمام، وهو لم يقدر على ذلك، فأجاب: "وليته ذكر أسماءها لمن بعده، وإن كان يُعلَم تعيُّنُها من الشرح، ولكن كان ذلك أسهل وأضبط. وقد سرد السبكي الكتب التي استمد هو منها في تكملته".[10]

رأيُ العلماء في المجموع

عدّ العلماء كتابَ المجموع من أفضل كتب الفقه الشافعي.[11] وقد ورد في طبقات الشافعية: "سلك فيه طريقة وسطة، حسنة، مهذبة، سهلة، جامعة لأشتات الفضائل وعيون المسائل، ومجامع الأوائل، ومذاهب العلماء ومفردات الفقهاء، وتحرير الألفاظ ومسالك أئمة الحفاظ، وبيان صحة الحديث من سقمه ومشهورة من عكسه. وبالجملة، فهو كتاب ما رأيت على منواله لأحد من المتقدمين، ولا حذا على مثاله متأخر من المصنفين".[12]

وتَبَيّنت قيمة الكتاب أيضًا من خلال آراء العلماء الكثيرة، فمنها رأي السخاوي أنّه لَم يصنف في المذهب على مثل أسلوبه، كما اعتبره السخاوي أنه في غاية الحسن والجودة.[13] وكذلك، لا يفوت ابن كثير من مدحِ الكتاب بأنه لو كمل لَم يكن له نظير في بابه، فإنه أبدع فيه وأجاد، وأفاد وأحسن الانتقاد، وحرر الفقه في المذهب وغيره، والحديث على ما ينبغي، واللغة العربية، وأشياء مهمة، لا يعرف في كتب الفقه أحسن منه.[14]

---

[9] السخاوي، **المنهل العذب الروي**، ص58.

[10] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[11] عويضة، **الإمام النووي**، ص81.

[12] يُنظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[13] يُنظر: السخاوي، **المنهل العذب الروي**، ص58.

[14] المرجع السابق، ص78.

منهج الإمام النووي في كتاب المجموع

قام الإمام النووي بشرح متون المهذّب للشيرازي، مُبيِّنًا فيه اللغات، وشارحاً الأحاديث الواردة مع بيان درجتها من حيث الصحة والضعف، ثم ذَكَرَ المسائلَ الفقهية، مع ترجيح الآراء أو الأقوال عند الشافعية، كما قام بترجمة مختصرة للعلماءِ المذكورِين في متونه. وكان الإمام أيضا يذكر بعض المسائل النحوية، موضّحاً آراء النحاة وأوجه الإعراب. وسيأتي تفصيلها في الفصول والمباحث المُقبِلة.

وقد نبّه إليه الإمام في مقدمة المجموع: "أذكر فيه إن شاء الله جملا من علومه الزاهرات، وأبيّن فيه أنواعا من فنونه المتعددات، فمنها تفسير الآيات الكريمات، والأحاديث النبويات، والآثار الموقوفات، والفتاوى المقطوعات، والأشعار الاستشهاديات، والأحكام الاعتقاديات والفروعيات، والأسماء واللغات، والقيود والاحترازات، وغير ذلك من فنونه المعروفات، وأبين من الأحاديث صحيحها، وحسنها، وضعيفها، ومرفوعها، وموقوفها، ومتصلها، ومرسلها، ومنقطعها، ومعضلها، وموضوعها، ومشهورها، وغريبها، وشاذها، ومنكرها، ومقاربها، ومعلّلها، ومدرجها، وغير ذلك من أقسامها مما ستراها إن شاء الله في مواطنها".[15]

وأشار الإمام النووي أيضا إلى منهجه في شرح الحديث الشريف: "ومتى كان الحديث ضعيفا بينت ضعفه ونبهت على سبب ضعفه إن لم يطل الكلام بوصفه، وإذا كان الحديث الضعيف هو الذي احتج به المصنف أو هو الذي اعتمده أصحابنا صرحت بضعفه ثم أذكر دليلا للمذهب من الحديث إن وجدته وإلا فمن القياس وغيره".[16] وأما الاحكام الفقهية، وهي لبّ الكتاب فيبالغ في إيضاحها

[15] النووي، **المجموع**، ج1، ص531.

[16] المرجع السابق، والصفحة نفسها.

بأسهل العبارات ويضمّ إلى ما في الأصل من الفروع والتتمات والزوائد المستجادات والقواعد المحررات والضوابط الممهدات.[17]

محتويات كتاب المجموع

على الرغم من شهرة كتاب المجموع بالأحكام الفقهية التي هي لبّ الكتاب؛ ولكن، تناول الإمام النووي أيضا موضوعات مهمة تتعلق بالعلم وتعلقاته، وغيرها. فبدأ الإمام بمقدمة الكتاب التي فيها بيان نسب الرسول صلى الله عليه وسلم، ونبذة عن الإمام الشافعي من نسبه، ومولده، وحالاته، وما إلى ذلك. وقدّم الإمام أيضا نبذة عن الإمام الشيرازي، وهو مؤلف المهذب.

وتحتوي مقدمة الإمام النووي على نصائح مفيدة حول الاشتغال بالعلم، وتصنيفه، وبيان آداب المعلم والمتعلم، كما يأتي أيضا بتوضيح الآداب المهمة في الفتوى والمفتي والمستفتي. وفي شرح الإمام لنصوص المهذب، بدأ بشرح مقدمة الإمام الشيرازي، ويليه كتاب الطهارة، وكتاب الصلاة، وكتاب الزكاة، وغيرها من الموضوعات الفقهية. واستمر هذا الشرح إلى أن يصل إلى كتاب البيوع قبل انتقاله إلى جلّ وعلا.

تكملة كتاب المجوع ومختصراته

كما سبق الذكر، لا يكمل الإمام شرحَ المهذب لانتقاله إلى جوار ربه، فكأنه يشعر أنه لن يتمّه حينما يطلب من تلميذه ابن العطار بإكماله إن وافته المنية قبل إتمامه؛ ولكنه لم يوافق ذلك. فأكمله من بعده الإمام تقي الدين السبكي، وهو من كبار الشافعية الذي يقارب مرتبة النووي والرافعي في العلم، وله

[17] المرجع السابق، والصفحة نفسها.

اجتهادات خارجة عن المذهب، من كتاب البيوع في مجلدين، ثم قام المطيعي بإكماله إلى نهاية المتـــن؛ حيث أضاف بحوثا حديثة في مسائل التأمين والأسهم والجنايات.

وأما مختصرات المجموع، فقد ورد عند سالم الرافعي مختصر للمجموع لربع العبادات في أربع مجلدات، وبتقريظ من الشيخ صالح الفوزان، والمختصر جيد في الجملة؛ حيث خرج المؤلف أحاديث الكتاب تخريجا جيدا مع إضافة بعض التعليقات المفيدة في حاشية الكتاب تتميما للفائدة. وهناك مختصر آخر للشيخ محمد أديب حسون.[18]

مصادر كتاب المجموع النحوية

استفاد الإمام النووي من آراء النحاة الكثيرين والكتب النحوية المهمة في تقديم الآراءَ والأفكار النحوية في كتاب المجموع. ومن الكتب التي ذكرها الإمام، هي: كتاب مطالع الأنوار لابن قرقول،[19] والأساليب في الخلاف للإمام الحرمين أبي المعالي،[20] وغيرهما.

---

[18] المرجع السابق.

[19] **ابن قرقول** (566هـــ): هو الإمام العلامة أبو إسحاق، إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس بن القائد، الحمزي الوهراني، المعروف بابن قرقول، من قرية حمزة من عمل بجاية. مولده بالمرية، إحدى مدائن الأندلس. وكان رحّالاً في العلم نقّالاً فقيهًا، نظّارًا أديباً نحويًّا، عارفًا بالحديث ورجاله، بديعَ الكتابة. توفي ابن قرقول في شعبان سنة ستة وستين وخمس مائة، وله أربع وستون سنة؛ ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 15، ص227-228.

[20] **إمام الحرمين** (478هـــ): هو الإمام الكبير، شيخ الشافعية، إمام الحرمين، أبو المعالي، عبد الملك ابن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني، النيسابوري، الشافعي. وُلِد في أول سنة تسع عشرة وأربع مائة. وله كتاب "نهاية المطلب في المذهب"، وكتاب "الإرشاد في أصول الدين"، وكتاب "الرسالة النظامية في الأحكام الإسلامية"، وغيرها. توفّي في الخامس والعشرين من ربيع الآخر، سنة ثمان وسبعين وأربع مائة؛ ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج14، ص 17-19.

وأما النحاة الذين وردت الإشارة إليهم في الكتاب، فمنهم: الخليل (173هـ)،[21] والشافعي (204هـ)،[22] والفرّاء (207هـ)،[23] والأصمعي (216هـ)،[24] وابن قتيبة (276هـ)،[25] والمبرد (285هـ)،[26] وثعلب (291هـ)،[27]

---

[21] **الخليل** (173هـ): هو أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد الفراهيدي، البصري، أحد الأعلام. وكان رأساً في لسان العرب، ديناً، ورعاً، قانعاً، متواضعاً. وله كتاب "العين" في اللغة. ولد سنة مائة. ومات سنة سبعين ومائة؛ ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج7، ص97؛ ويُنظر: شوقي، ضيف، **المدارس النحوية**، (القاهرة: دار المعارف، ط2، د.ت) ص30؛ ويُنظر: أحمد الحسن، سمساعة، **تاريخ النحو العربي: نشأته وتطوره**، (كوالالمبور: الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، د.ط، 1993م) ص18.

[22] **الشافعي** (204هـ): هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن المطلب بن عبد مناف، وهو عالِمُ العصر، وناصرُ الحديث. المولد نسيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه بغزة. وصنّف التصانيف، ودوّن العلمَ، وردّ على الأئمة متبعاً الأثر، وصنّف في أصول الفقه وفروعه؛ ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج8، ص237-240.

[23] **الفرّاء** (207هـ): هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي مولاهم الكوفي النحوي صاحب الكسائي. ومات الفراء بطريق الحج سنة سبع ومائتين، وله ثلاث وستون سنة؛ ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج8، ص291-292؛ ويُنظر: ويُنظر: ضيف، **المدارس النحوية**، ص192؛ ويُنظر: سمساعة، **تاريخ النحو العربي**، ص59.

[24] **الأصمعي** (216هـ): هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مظهر بن عبد شمس الأصمعي. ولد سنة بضع وعشرين ومائة؛ ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج8، ص232.

[25] **ابن قتيبة** (276هـ): هو الإمام الثقة، المحدث الكبير، أبو العباس، محمد بن الحسن بن قتيبة؛ ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج11، ص180.

[26] **المبرد** (286هـ): هو إمام النحو، أبو العباس، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي، البصري، النحوي الأخباري، صاحب كتاب "الكامل". ولد بالبصرة سنة سبعة ومائتين، ومات في أول سنة ست وثمانين ومائتين؛ ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج10، ص546؛ ويُنظر: ضيف، **المدارس النحوية**، ص123؛ ويُنظر: سمساعة، **تاريخ النحو العربي**، ص28.

[27] **ثعلب** (291هـ): هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد، البغدادي. وله كتاب "اختلاف النحويين"، وكتاب "القراءات"، وغيرهما. ومات في جمادى الأولى، سنة إحدى وتسعين ومائتين؛ ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج11، ص5؛ ويُنظر: سمساعة، **تاريخ النحو العربي**، ص63.

والبيهقي (293هـ)،[28] والروياني (307هـ)،[29] والزجاج (310هـ)،[30] والنحاس (338هـ)،[31] والأزهري (370هـ)،[32] وابن خالويه (370هـ)،[33] والخطابي (388هـ)،[34] والجوهري (393هـ)،[35] والماوردي (450هـ)،[36] والواحدي (468هـ).[37]

---

[28] **البيهقي** (293هـ): هو أبو سليمان داود بن الحسين بن عقيل بن سعيد البيهقي. وتوفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين؛ ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج10، ص547.

[29] **الروياني** (307هـ): هو أبو بكر محمد بن هارون الروياني، صاحب المسند المشهور. وله تصانيف في الفقه. ومات سنة سبع وثلاث مائة؛ ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج11، ص310.

[30] **الزجاج** (311هـ): هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السريّ الزجاج، نحويّ زمانه، ومصنف كتاب "معاني القرآن". ومات سنة إحدى عشرة وثلاث مائة؛ ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج11، ص222؛ ويُنظر: ضيف، **المدارس النحوية**، ص135.

[31] **النحاس** (338هـ): هو أحمد بن محمد بن إسماعيل المعروف بالنحاس. وكان واسع العلم، غزير الرواية، كثير التأليف، وتوفي سنة ثمانية وثلاثين وثلاث مائة؛ ينظر: ويُنظر: سمساعة، **تاريخ النحو العربي**، ص133.

[32] **الأزهري** (370هـ): هو أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري اللغويّ الشافعي. وكان رأساً في اللغة والفقه. وله كتاب "تهذيب اللغة"، وكتاب "التفسير"، وكتاب علل القراءات"، وغيرها. ومات في ربيع الآخر سنة سبعين وثلاث مائة؛ ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج12، ص328.

[33] **ابن خالويه** (370هـ): أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، هو عالم لغوي بارز ولد في منطقة همدان، وكانت له مع المتنبي مجالس ومباحث عند سيف الدولة، ومن كتبه "شرح مقصورة ابن دريد"، وكتاب "مختصر في شواذ القرآن"، وكتاب "المقصور والممدود"، وغيرها. وتوفّي سنة سبعين وثلاث مائة؛ ينظر: موقع **المكتبة الشاملة**: (http://shamela.ws/index.php/author/1436).

[34] **الخطابي** (ت388هـ): هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب الخطابي، الحافظ اللغوي. ولد سنة بضع عشرة وثلاث مائة. ومن تصانيفه كتاب "شرح السنن"، وكتاب "شَرْحُ الأَسْمَاءِ الحُسْنَى"، وكتاب "الغنية عن الكلام وأهله" وغير ذلك. وتوفي في سنة ثمان وثمانين وثلاث مائة؛ ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج12،ص496.

[35] **الجوهري** (393هـ): هو أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد البغدادي الجوهري، صاحب "المسند" الأكبر. ولد بعد السبعين ومائة. وتوفي وهو سبع وأربعين؛ ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج9،ص510-511.

[36] **الماوردي** (450هـ): هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي. ومات في ربيع الأول سنة خمسين وأربع مائة. وله مصنفات كثيرة في الفقه والتفسير وأصول الفقه والأدب؛ ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج13، ص311.

[37] **الواحدي** (ت468هـ): هو أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي. وصَنّف التفَاسير الثلاثة: البسيط، والوسيط، والوجيز. وكان طويل الباع في العربية واللغات. ومات في جمادى الآخرة سنة ثمان وستين وأربع مائة؛ ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج13، ص453.